الفصل السادس عشر

النهضة في الحقبة الليبراليَّة

الثورات المصريَّة والنهضة

منذ أن احتلت بريطانيا أرض مصر عام ١٨٨٢ ما فتئت الدعوة إلى الجلاء والجهاد تستعر داخل القوى الوطنيَّة التي حاولت جهدها الخلاص والتحرير من نَيْر الاحتلال الأجنبي ، وكانت أول مفاوضة في سبيل الجلاء عام ١٨٨٥ ، وتظاهرت بريطانيا بالرغبة في تحقيقه وشغلت الرأي العام في مصر والخارج بهذه المفاوضات المسماة درومندولف والتي استمرت سنتين من ١٨٨٥ إلى ١٨٨٧ وانتهت بالإخفاق وبقاء الاحتلال قائماً .

فلما بُعِثَت الحركة الوطنيَّة على يد مصطفى كامل كان شعارها الجلاء الذي ظلَّ شعار الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل ، واستمرَّ الشعب ماضياً في جهاده في عهد محمد فريد .

ثورة ١٩١٩ والكفاح من أجل استقلال مصر

أعلن الرئيس الأمريكي " نلسون " مبدأ حق تقرير المصير ، أي حق أي أمَّة في الحصول على حريتها ، كما أعلن "تأليف عصبة الأمم" للقضاء على تحكيم القوَّة في أي نزاع لذا سعى الشعب المصريُّ بعد الحرب العالميَّة الأولى ليس فقط إلى التخلُّص من الاحتلال البريطاني إنما من الحكم العثماني أيضاً وذلك بعرض قضية مصر أمام مؤتمر الصلح الذي كان مقرراً عقده في باريس في ٢٨ يونيو ١٩١٩م من أجل التخلُّص من إنجلترا ، والدولة العثمانيَّة وتشكَّل الوفد المصري (سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلى شعراوي) واعترض المندوب السامي على سفر هذا الوفد بحجَّة

عدم تمثيله للشعب المصريِّ فسارعت طوائف الشعب على توقيع توكيلات ، لكن إنجلترا إذ عرفت التفاف الشعب المصري حول الوفد قامت باعتقال سعد زغلول وبعض أفراد الوفد ونفيهم .

لكن الشعب المصريَّ بمختلف فئاته وطوائفه قام بثورة عارمة اشترك فيها المسلمون والأقباط ، الرجال والنساء ، الفلاحين والعمال ، والطلبة والموظفين ، كانت جميع طوائف الشعب مُمَثَّلة في هذه الثورة الكبرى .

تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

كان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نتيجة طبيعيَّة لثورة الشعب ووقوفه خلف زعمائه المطالبين بالجلاء والدستور، ذلك التصريح الذي أعلنت فيه إنجلترا انتهاء الحماية البريطانيَّة على مصر وأن تكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة مع بعض التحفظات[1] وبهذا التصريح أصبحت مصر دولة مستقلَّة ذات سيادة ، كما أصبح من حق مصر اتخاذ الدستور نظاماً للحكم فيها مما أدخل مصر ولأول مرة مرحلة جديدة من حياتها السياسيَّة هي مرحلة الديمقراطيَّة التي تعني أن الأمَّة – لا الملك ولا غيره – مصدر السلطات ، ووضع دستور ١٩٢٣ الذي يجعل الأمَّة مصدر السلطات لكن الملك فؤاد استطاع أن يفرض بعض المواد في الدستور الجديد تتيح للملك سلطة حلِّ البرلمان المنتخب من الشعب دون قيد أو شرط ، كما جعل من حقِّ الملك إقالة الوزارة ، وهذان الشرطان هما ما أفسدا الحياة الديمقراطيَّة في مصر إلى حد كبير .

معاهدة ١٩٣٦

بعد وفاة الملك فؤاد جرت انتخابات حرَّة نزيهة في ٢ مايو ١٩٣٦ وأسفرت عن فوز الوفد بالأغلبيَّة البرلمانيَّة .

([1]) وهذه التحفظات هي : حق انجلترا في تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر ، و حقها في الدفاع عن مصر ، وحقها في حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات ، وحقها في التصرف في السودان .

في تلك الأثناء كانت الأجواء العالميَّة تنذر بحرب عالميَّة فقد كانت العسكريَّة الألمانيَّة قد وصلت إلى قمة قوتها ، وطمح هتلر النازي في اجتياح العالم كله ، وقام الحكم الفاشيستي في إيطاليا بغزو الحبشة ، لذا أحسَّت انجلترا بالخطر من هذين الماردين الجديدين : هتلر ، موسوليني لما لهما من رغبة استعماريَّة جامحة تساندها قوَّة عسكريَّة جبَّارة " لذا سعت إنجلترا إلى تغيير سياستها تجاه الوفد ، ومشت إليه تمد يد الصداقة ومد الوفد يده إليها لكي يكسب لمصر استقلالها ، بعد أن طالت شُقَّة الجهاد نَيْفاً وخمسين عاماً وتشكَّلت هيئة للمفاوضات ضمت جميع رؤساء الأحزاب وذوي الرأي المستقلين وعقدت معاهدة ١٩٣٦ " ([1]) في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ بوزارة الخارجية البريطانية .

وقد حقَّقت المعاهدة المزايا الآتية :

١- انتهاء احتلال مصر عسكريّاً بواسطة قوات إنجلترا .

٢- انضمام مصر لعصبة الأمم باعتبار مصر دولة مستقلَّة ذات سيادة .

٣- إلغاء الامتيازات الأجنبيَّة .

٤- تقوية الجيش المصري إلى الدرجة التي تمكِّنه من الدفاع عن قناة السويس بمفرده فإذا وصل إلى هذه القوة تجلو القوات البريطانيَّة الحليفة من مصر .

٥- سحب جميع الموظفين البريطانيين من الجيش المصري ، وإلغاء إدارة الأمن الأوربيَّة ، وخروج العنصر الأوربي من البوليس ، واعتبار مصر هي المسئولة عن حماية الأجانب .

٦- حرية مصر في عقد المعاهدات السياسيَّة مع الدول الأجنبيَّة ، بشرط ألا تتعارض مع المعاهدة .

٧- إرجاع الجيش المصري إلى السودان ، واعتراف بريطانيا بالإدارة المشتركة مع مصر والسودان .

([1]) محمد شوكت التوني " أحزاب وزعماء " مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ص ٤٢

٨- أن تسري المعاهدة مدة عشرين سنة .

على هذا النحو انتهت صفحة من نضال الشعب المصري من أجل الاستقلال الخارجي والداخلي .. وتحوَّلت العلاقة بين بريطانيا ومصر من علاقة احتلال إلى علاقة تحالف . وقد فضلت مصر التحالف مع بريطانيا نظراً لأن خطراً مشتركاً كان قادماً في الطريق وهو الخطر الفاشي المتمثل في ألمانيا وإيطاليا . [1]

جلاء الإنجليز عن القاهرة والإسكندرية

وتحت ضغط الكفاح الشعبي المتزايد جلا الإنجليز عن قلعة القاهرة في ٤ يوليه ١٩٤٦ وسلَّموها إلى الجيش المصري وأُنْزِل العلم البريطاني الذي كان يرفرف عليها طوال أربعة وستين عاماً ثم جلو أيضاً عام ١٩٤٧ عن المواقع التي كانوا يحتلونها في القاهرة والإسكندريَّة وضواحيها وانتقلوا إلى منطقة قناة السويس وقاعدتها .

مشروع صدقي / بيفن

كان إسماعيل صدقي لا يؤمن بالديمقراطيَّة ولا بالحريَّة إنما كان يؤمن بأن حكومة الأغلبيَّة ما هي إلا حكومة الرعاع وأن الأفضل للبلاد أن تحكم بطريقة الطبيب الذي يضطر المريضَ لتجرُّع الدواء المرير ، أو ببتر الساعد العزيز لكي يسلم باقي الجسد " لم يكن إسماعيل صدقي خائناً لوطنه ، ولا بائعاً للإنجليز بلاده ، ولكنه كان غير مؤمن بحكم الشعب للشعب ، وإنما يؤمن بنظرية " هيجل " نظريَّة القوَّة التي قام عليها حزب " النازي " في ألمانيا .. معاصراً لحكم صدقي باشا ، ثم حكم " الفاشيست " في إيطاليا قبيل ذلك ، أي حوالي سنة ١٩٢٣ ، عند قيام حركة " فيومي " التي قادها الصحفي " بنيتو موسوليني " والتي اعتنقها أيضاً "فرانكو" في أسبانيا ". [2]

وفي عام ١٩٤٧ بدأ إسماعيل صدقي ، رئيس الوزراء حينئذ ، المفاوضات مع الإنجليز لتعديل معاهدة ١٩٣٦ ليحقق لمصر الجلاء ، ووحدة وادي النيل وهما المطلبان اللذان كان أي مفاوض مصري يصرُّ عليهما ولا يرضى بهما بديلاً ومن هذه

---

(1) د . عبد العظيم رمضان .
(2) محمد شوكت التوني " أحزاب وزعماء " الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ط ص ٣٧ .

الثوابت بدأ صدقي " يفاوض إنجلترا لإجلاء قواتها عن قناة السويس وإعادة الوحدة بين مصر والسودان ".[١]

وسافر صدقي باشا إلى لندن هو ووزير الخارجيَّة إبراهيم عبد الهادي "وانتهيا إلى مشروع اتفاق وقَّعاه ووقَّعه مستر بيفن (وزير الخارجيَّة البريطانيَّة) بالحروف الأولى من أسمائهم وعُرِفَ من بعد بمشروع " صدقي بيفن " [٢] وكان ينص هذا المشروع على " الجلاء التام في سبتمبر ١٩٤٩ ". [٣]

وينص البروتوكول الخاص بالجلاء في هذه المعاهدة على " اتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على أن الجلاء التام عن الأراضي المصريَّة بواسطة القوات البريطانيَّة يجب أن يكون قد تمَّ في أول سبتمبر سنة ١٩٤٩ م وأن مدينتي القاهرة والإسكندرية والدلتا يجب أن تكون قد أُخْلِيَت قبل مارس ١٩٤٨ م ". [٤]

وعرض صدقي المشروع على البرلمان الذي كان غالبيَّة أعضائه منتمية لأحزاب، ولما كان صدقي ليس صاحب حزب له الأغلبيَّة في البرلمان ، وأنه مُعَيَّن من قِبَل الملك ولم يتولَّ رئاسة الوزارة بانتخابات حرَّة كما تقضي بذلك التقاليد الدستوريَّة ، فإن غالبيَّة أعضاء البرلمان عارضوا مشروع صدقي بيفن على ما فيه من قرارات كانت كفيلة بتحقيق الجلاء التام للقوات البريطانيَّة عن كل أرض مصر والسودان في موعد أقصاه سبتمبر ١٩٤٩ .

الاحتلال مع الديمقراطيَّة أم الاستقلال مع الديكتاتوريَّة ؟

لقد آثر البرلمان المصري آنذاك إقامة حياة ديمقراطيَّة سليمة بما فيها من انتخابات حرَّة نزيهة ، تأتي بمن تأتي به من أحزاب إلى السلطة وعدم تدخُّل الملك في كل ذلك – آثر الشعب المصري الحياة البرلمانيَّة السليمة على جلاء الإنجليز. فإذا كان الجلاء يأتي على يد صدقي باشا المستبد المُعَيَّن من قِبَل الملك ولم تأت به انتخابات حرَّة

---

(1) نفسه ص ١٧١ .
(2) د. محمد حسين هيكل " مذكرات في السياسة المصرية " دار المعارف ص ٢٧٢
(3) عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " الدار القومية للطباعة والنشر ص ٣٤ .
(4) عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " مرجع سابق ص ١٩٩ .

تمثِّل إرادة الأمَّة فلا للجلاء ، ونعم لحريَّة الأمَّة في اختيار من يحكمها ؛ فالاستعمار سوف يرحل عاجلاً أو آجلاً لكن الذي يهم البرلمان هو نظام الحكم في مصر فهذا هو الباقي .

عندما قرأتُ هذا قديماً كنت ألوم على برلمان مصر الذي ضحَّى بجلاء الاستعمار من أجل ترسيخ حياة ديمقراطيَّة سليمة لا يتلاعب بها الملك ؛ فقد كنت أرى أن جلاء الإنجليز سوف يمكِّن المصريين من إقامة حياة ديمقراطيَّة سليمة كان يقف الإنجليز حائلاً دونها ، وعندما أمعنت النظر في تاريخ مصر اللاحق أدركت أن أعضاء البرلمان كانوا مُحِقِّين في ذلك تماماً .

فقد قامت ثورة ٢٣ يوليو وطردت الملك ، وأسقطت المَلَكِيَّة ، وأقامت ديكتاتوريَّة عسكريَّة أجْلَت الإنجليز ، ولكنها رسَّخت الديكتاتوريَّة التي قهرت الشعب المصري نحو ستين عاماً تلك الديكتاتوريَّة التي ارتكبت في حق مصر ما لم يرتكبه أي عدوان خارجي فقد شهدت مصر في ظلِّ الاحتلال حياة شبه ديمقراطيَّة ولولا استبداد الملك فؤاد وابنه فاروق لكانت نموذجاً يحتذى .

وبالقطع أنا أكره الاحتلال الأجنبي ولا أرضاه لأيِّ أمَّة فضلاً عن بلادي كما أحب الحرية تعمُّ كلَّ البشر ولاسيما بلادي . ولقد تحرَّرت – تقريباً – جميع بلاد العالم من الاستعمار الأجنبي ، ولكن كثيراً منها مازال ترزح تحت نير دكتاتوريَّة الحكَّام المستبدين من أبناء جلدتها .

ولقد توصَّل الضبَّاط الأحرار إلى هذه النتيجة وهم في حرب فلسطين توصَّلوا إلى أن الحرب الحقيقيَّة في مصر ضد المستبدِّين فيها لا ضد الاحتلال الإنجليزي الذي ينعم في ظلِّ هؤلاء المستبدِّين فكانت ثورتهم ضد الملك المستبد الذي أفسد الحياة البرلمانيَّة وانتهك الدستور، ولم تكن ضد الاحتلال الإنجليزي الرابض في مدن القناة.

لذا فلا عجب أن فضَّل كثيرٌ من علماء المسلمين السلطان الكافر العادل على السلطان المسلم الجائر .

لذا كان أعضاء البرلمان المصري برفضهم مشروع صدقي بيفن – الذي يُعدُّ أفضل من اتفاقية الجلاء التي سيوقِّعها جمال عبد الناصر مع الإنجليز بعد سبع سنوات –

يعبِّرون عن رفضهم الحكم المستبد ، وتدخُّل الملك في سياسة البلاد وفرض رئيس الوزراء ووزرائه على الشعب ، إن رغبة أعضاء البرلمان المصري في حياة ديمقراطيَّة كانت مقدَّمة على قبول اتفاقية تحقق جلاء الإنجليز عن مصر إذا جاءت عن طريق صدقي باشا الفاشستي عدو الدستور ، وقالوا إن كان صدقي المفروض من الملك على الشعب قد حقَّق هذا الإنجاز فإنه بمقدور الوفد وهو يمثِّل الأغلبيَّة أن يتوصَّل إلى اتفاقية أفضل عندما يأتي إلى الحكم ويتفاوض مع الإنجليز.

لذا نظر أعضاء البرلمان إلى بنود هذه الاتفاقية بعين السخط التي تبدي المساوئ فطالبوا بالجلاء الفوري للقوات الإنجليزيَّة وقالوا " إن تقدير ثلاث سنوات أجلاً لإتمامه تقدير مبالغ فيه وأن الجلاء مستطاع في أقلِّ من ذلك بكثير " كما اعترضوا على اتفاقيَّة الدفاع المشترك بين إنجلترا ومصر والتي جاءت على النحو التالي : "اتَّفق الطرفان الساميان المتعاقدان على أنه في حالة ما إذا أصبحت مصر محلَّ اعتداء مسلَّح أو في حالة ما إذا كان اشتبكت المملكة المتحدة في حرب كنتيجة لوقوع اعتداء مسلَّح على البلاد المتاخمة لمصر فإنهما يتخذان بالتعاون الوثيق وبعد المشاورة أي إجراء تتبين ضرورته ريثما يتخذ مجلس الأمن الوسائل اللازمة لإعادة السلم . " [١]

إن معاهدة الدفاع المشترك التي اعترضت عليها المعارضة مشروطة برضا الطرفين وليس فيها أي إلزام لمصر بضرورة فعل شيء دون إرادتها لأن لمصر حرية الاختيار في التعاون مع إنجلترا في الحرب حالة وقوع عدوان مسلح على أي بلد متاخم لحدود مصر ، ورفض مصر للتعاون مع انجلترا لا يعطي انجلترا الحق في إعادة احتلال مصر بل ليس أمام إنجلترا طبقاً لنصوص المعاهدة إلا الاحتكام إلى نصوص هيئة الأمم المتحدة .

([1]) عبد الرحمن الرافعي " في أعقاب الثورة المصرية " مرجع سابق ص ١٩٦.

وهاك نص المادة السادسة من الاتفاقيَّة " كل خلاف على تطبيق أو تفسير نصوص هذه المعاهدة يكون قد تعذَّر عليهما (أي على مصر وانجلترا) حلُّه بمفاوضات تجري بينهما يصفَّى طبقاً لنصوص هيئة الأمم المتحدة ". [١]

وعليه فإن نفاذ المادة الخاصة بالدفاع المشترك لا يتم إلا إذا كان فيه مصلحة الطرفين وعليه فلا ضرر منه على مصر على الإطلاق ، وكان الغرض منه منع أي قوى استعماريَّة من احتلال مصر كما حاولت ألمانيا فعل ذلك في الحرب العالمية الثانية فانجلترا تخشى إن هي انسحبت من مصر أن تتعرض مصر أو البلاد المجاورة لها للاحتلال الألماني أو أية قوَّة أخرى معادية لانجلترا ، ولا ضير على مصر من جراء هذا بل على العكس إن هذه الاتفاقية ستكف أي يدٍ أجنبيَّة تفكِّر في الاعتداء على الأراضي المصريَّة والأراضي العربيَّة المجاورة لها .

وإذا قارنَّا هذه المادة بنظيرتها في اتفاقية الجلاء التي ستوقعها مصر في عهد الدكتاتوريَّة العسكريَّة يتبين لنا أنها أفضل بكثير منها فقد نصَّت اتفاقية الجلاء (١٩ أكتوبر ١٩٥٤) في مادتها الثالثة على : " تبقى أجزاء من القاعدة التي كانت للإنجليز في قناة السويس في حالة صالحة للاستعمال معدَّة للاستخدام وفي حالة وقوع هجوم مسلَّح من دولة من الخارج على أي بلد يكون طرفاً في معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربيَّة أو على تركيا تقدِّم مصر لبريطانيا من التسهيلات ما قد يكون لازماً لتهيئة القاعدة للحرب وإدارتها ، وتتضمَّن هذه التسهيلات استخدام الموانئ المصريَّة في حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للأغراض سالفة الذكر وفي حالة حدوث تهديد بهجوم مسلَّح من دولة من الخارج على أيدي بلد يكون طرفاً في معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو تركيا يجري التشاور فوراً بين مصر وبريطانيا ."

وسوف نرى أن النخبة المصريَّة والأحزاب قد رفضت هذه الاتفاقية حين وقَّعها جمال عبد الناصر .

([1]) نفسه ص ١٩٧.

ويندم حزب الوفد بعد ذلك لأنه ضيَّع فرصة الجلاء ، ولقد حاول بعد ذلك في مفاوضاته مع إنجلترا التي امتدت من مارس سنة ١٩٥٠ إلى سبتمبر ١٩٥١ أن يصل إلى اتفاقيَّة أفضل من مشروع صدقي بيفن لكنه فشل ومما جاء في هذه المفاوضات قول النحاس مخاطباً الفيلد مارشال سليم (رئيس أركان حرب الإمبراطورية البريطانية وأحد المفاوضين) " لقد اتفقتم مع صدقي باشا على أن يتم الجلاء التام في سبتمبر سنة ١٩٤٩ فكيف يمكن أن أقول للشعب المصري غير ذلك؟ وقد كنَّا ضد صدقي باشا في إرجاء الجلاء إلى ذلك التاريخ وطلبنا الجلاء الناجز " وقال في موضع آخر "ولو أن هذا الاتفاق – اتفاق صدقي/ بيفن – قد أبرم في ذلك الحين لما بقيت الآن (سنة ١٩٥٠) في مصر قوات بريطانية " وقال محمد صلاح الدين وزير الخارجيَّة المصريَّة في ذلك الحين " سبق للوفد المصري عندما كان في المعارضة أن رفض فكرة الدفاع المشترك وأجمع الرأي العام المصري على تأييده في هذا الرفض ، وانتهى الأمر بأن رفض أغلبيَّة المفاوضين مشروع صدقي بيفن من أجل الدفاع المشترك وذلك بالرغم مما تضمَّنه هذا المشروع من تقرير الجلاء الكامل بحراً وبراً وجواً . "[١]

إلغاء معاهدة ٣٦ وبدء الكفاح المسلح ضد الإنجليز

ونتيجة عدم توصُّل حكومة الوفد لاتفاق على جلاء الإنجليز عن مصر وضغط الرأي العام لتحقيق ذلك أعلنت حكومة الوفد في أكتوبر ١٩٥١ إلغاء معاهدة عام ١٩٣٦ وكان هذا الإلغاء إذاناً باستئناف الكفاح المسلح بين الفدائيين المصريين والجيش البريطاني وكان كفاحاً مريراً بذل فيه الفدائيون وجموع المواطنين التضحيات الكثيرة .

دعائم نظام الحكم قبل الثورة

كان نظام الحكم في مصر منذ توقيع معاهدة الجلاء سنة ١٩٣٦ يستند إلى ثلاث دعائم:

١– السفارة البريطانية مُمَثَّلة في المندوب السامي البريطاني.

([١]) لمزيد من التفصيل الرجوع إلى عبد الرحمن الرافعي " مقدمات ثورة ٢٣ يوليو " الفصل الأول " إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ والكفاح في القنال " .

٢- القصر مُمثَّلاً في الملك فاروق وحاشيته.

٣- الرأي العام المصري مُمثَّلاً في حزب الوفد.

وفساد الحكم في مصر قبل الثورة يرجع للإنجليز الذين لا يهمهم استقرار الحكم في مصر وللملك الذي كان يفرض أحزاب الأقلية الضعيفة حتى تعمل على تنفيذ رغباته ويقيل وزارة الأغلبيَّة التي كان الشعب يختارها وتعمل على تقدم المجتمع ورفاهيته ، وفي الفترات التي حكمت فيها وزارة الأغلبيَّة (وزارة الوفد) وهي سبع سنوات على فترات متقطِّعة قامت خلالها بأعمال عظيمة خدمة لمصر والمصريين كحرية إبداء الرأي ، وحريَّة الصحافة ، وحريَّة تكوين الأحزاب والجمعيات ، ومساواة جميع المصريين أمام القانون ، وحرمة المِلْكِيَّة ، وفصل السلطات الثلاث : التشريعيَّة ، والتنفيذيَّة ، والقضائيَّة ، فالسلطة التشريعيَّة يتولاها البرلمان الذي يضم ممثلي الشعب المنتخبين ، والسلطة التنفيذيَّة تتولاها الوزارة ، والوزارة ليست مسئولة أمام الملك إنما أمام البرلمان.

وبرغم الاحتلال الإنجليزي الغاشم وفساد الملك واستبداده إلا أنَّ الفترة ما بين ثورة ١٩ وثورة ٥٢ التي اصطلح على تسميتها " الحِقْبَة اللِّيبراليَّة " كانت من أخصب فترات التاريخ المصري ثقافة وأعمقها فكراً ؛ فقد أتت النهضة العلميَّة التي أنشأها محمد عليّ ثمارها في هذا المُنَاخ المُفعَم بالحريَّة والديمقراطيَّة .

الطبقة الوسطى المصريَّة ودورها في العصر الحديث

الطبقة الوسطى هي التي تقع بين الطبقة العليا والدنيا. فالمجتمع يتوزع على ثلاث طبقات أساسية، وهي : الطبقة العليا المتحكمة في صناعة القرار ووسائل الإنتاج ، والطبقة الدنيا هي التي تقبع اقتصاديّاً تحت مستوى خط الفقر ، واجتماعيّاً على هامش الحياة من الفلاحين والعمال والحرفيين ، والطبقة الوسطى هي التي تتوفَّر لها بعض أسباب العيش الكريم من خريجي المدارس والجامعات وتأخذ على عاتقها تطوير المجتمع وتقدمه وحل مشاكله وتنمية موارده واستقراره كما هو الأمر بالنسبة للشرفاء من الكتَّاب ، الصحفيين ، الأدباء ، المثقفين من المحامين ، الأطباء، المعلمين ، والضباط وغيرهم . هؤلاء هم عماد الأمَّة وأساس تقدمها ورفاهيتها .

فحركات التحرر والاستقلال كانت من صنع هذه الطبقة ، كما أن عمليات التغيير السياسي والاجتماعي، في شكل ثورات وحركات ثقافيَّة تنويريَّة، كانت أيضاً من صنعهم .

والطبقة الوسطى في مصر ظهرت في القرن التاسع عشر ، وكان يمثِّلها أبناء الطبقة الدنيا الذين أتاحت لهم نهضة محمد عليّ التعليميَّة أن يُحَصِّلوا قدراً كبيراً من العلم والثقافة خارج مصر من خلال البعثات العلميَّة التي أرسلها محمد عليّ إلى أوربا للدراسة ، أو من تتلمذ على يدهم وعلى كتبهم المترجمة أو المؤلَّفة من أبناء المدارس والمثقفين .

وبالطبع بدأت الطبقة الوسطى صغيرة جداً ، ومع انتشار التعليم ، وإنشاء الجامعة، وازدهار الصحافة ، ونشأة الأحزاب زاد حجمها نسبيّاً ، وتُعَدُّ الحقبة الليبراليَّة هي العصر الذهبي لهذه الطبقة حيث قادت الأمَّة إلى المطالبة باستقلالها عن الإنجليز فكانت ثورة ١٩ وتصريح ٢٨ فبراير ، ثمَّ قادت الأمَّة لحياة سياسيَّة ديمقراطيَّة فكان دستور ٢٣ ونشأة الأحزاب ، وبرغم الاحتلال الإنجليزي واستبداد القصر حققَّت الطبقة الوسطى نهضة علميَّة وثقافيَّة كبيرة كان روادها منارة الوطن العربي كله ، كما أنَّ بعض أبناء الطبقة الوسطى في الجيش المصري هم الذين قاموا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، التي أجْلَتْ الإنجليز وطردت الملك وألغت المَلَكِيَّة،وأقامت الجمهوريَّة ، وقضت على الإقطاع وسيطرة رأس المال ، وأيَّدت الطبقة الوسطى الثورة في كلِّ هذا وباركته ، وعندما انقلب عبد الناصر وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة على الديمقراطيَّة والرئيس محمد نجيب المنادي بها انتفضت الطبقة الوسطى وأجبرت مجلس قيادة الثورة على إعادة محمد نجيب في مظاهرات مارس ١٩٥٤، وينجح عبد الناصر في الإطاحة بالديمقراطيَّة ومحمد نجيب وقمع الطبقة الوسطى بالحديد والنار ، ولكن نتيجة فشل نظام عبد الناصر في إقامة حياة ديمقراطيَّة سليمة وعدالة اجتماعيَّة حقيقيَّة وجيش وطني قوي مما ترتَّب عليه هزيمة يونيو ٦٧ التي كشفت للطبقة الوسطى خداع النظام وكذب وسائل إعلامه جعل الطبقة الوسطى تعيد حساباتها وتقيِّم تجربة عبد الناصر في الحكم تقييماً حقيقيّاً وتهبَّ للمطالبة بالحريَّة والديمقراطيَّة

وتعارض نظام الحكم المستبد في مظاهرات فبراير ، ونوفمبر ١٩٦٨ [١] ولما بدأت سياسة الانفتاح التي انتهجها السادات بعد انتصار أكتوبر ٧٣ وتظهر سلبياتها بعودة الرأسماليَّة المتوحِّشة وتهميش الطبقة الوسطى ثارت الطبقة الوسطى في ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧على هذه السياسة وزيادة الأسعار ، وعندما كادت حكومات رجال الأعمال وعودة تحكم رأس المال أن تقضي على الطبقة الوسطى نهائيّاً هبَّت الطبقة الوسطى قويَّة فتيَّة وقادت ثورتين متتاليتين : ثورة على الدكتاتوريَّة وفساد الحكم وتحكُّم رأس المال المستغل، وثورة على التنظيم الدولي للإخوان المسلمين الذي أراد أن يجعل مصر ولاية تابعة للتنظيم .

كانت المقررات المدرسيَّة في خلال هذه الحقبة الليبراليَّة تركِّز على الإنجازات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة التي تحقَّقت في تلك المرحلة متجاهلة التأثير السلبي للاحتلال الإنجليزي على الحياة السياسيَّة والاقتصاديَّة ، ونظام الحكم الملكي الذي كان يقيل وزارة الأغلبيَّة ذات الإنجازات الحقيقيَّة والتوجهات الوطنيَّة والشعبيَّة ويفرض حكومات أقليَّة تابعة له ومنفِّذة رغباته .

إن مقرر عام ١٩٤٨ للسنة الرابعة الثانوية يتوقف في معالجته التاريخيَّة قبل تولي فاروق العرش ويتجاهل فترة حكم هذا الملك بالرغم من أنه كان قد مرَّ على توليته السلطة أكثر من عشر سنوات ولم تكن تلك عادة مقررات التاريخ المدرسي ، لقد أراد المقرر أن يُبْقى على فاروق بعيداً نقيّاً في الوقت الذي أُظْهر والده الملك فؤاده في صورة الملاك الطاهر الخدوم ، الذي لم يخطئ بل أن حياته إصلاح في إصلاح.

وفي هذا المعنى من الصعوبة بمكان قبول ما ورد في نفس المنهج المقرر من أن الملك فؤاد " لم يَأْلُ جهداً في العمل على تحسين حالة بلاده وشعبه " .

لقد اهتمَّت المناهج المدرسيَّة بالتصريحات الرسميَّة والدعايات الحكوميَّة قبل ١٩٥٢، ولم تعالج الإشكاليات والقضايا الأساسيَّة في تاريخ بلادنا التي كانت تعاني معاناة

([١]) لمزيد من التفصيل حول هذه المظاهرات الرجوع إلى كتابنا " متى يثور المصريون " الفصل الخامس " ثورات المصريين في التاريخ المعاصر " دار زهور المعرفة البركة .

جعلتها حبلى بتراكمات سياسيَّة حكمها ذلك الحبل الذي أوشك أن يؤدي إلى مخاض الولادة الطبيعيَّة للثورة التي كان من المحتمل أن تغيِّر أحوالنا وتحقق طموحات غالبيَّة شعبنا . (١)

وما تكاد ثورة ٢٣ يوليو تنجح ويستولي رجالها على الحكم ثم ينفرد عبد الناصر به حتى ينبري حاملو المباخر ومنافقو السلطة وطلاب الشهرة في شن حرب شعواء على كل ما تمَّ في الحقبة الليبراليَّة من إنجازات حقيقيَّة في خطاب دعائي ديماجوجيٍّ (٢) فجٍّ يسعى لاجتذاب الناس إلى جانب النظام الثوري الجديد عن طريق الوعود الكاذبة والتملُّق وتشويه الحقائق الثابتة .

لدرجة جعلت الناصريين المتأخرين أنفسهم ينتقدون هذا التزييف وتلك المغالطات في تناول الحقبة الليبراليَّة من جانب الكتَّاب ومؤلفي المقررات المدرسيَّة بعد ثورة ٢٣ يوليو .

يقول د. زكي البحيري أستاذ التاريخ الناصري : " إن تناول هذه الفترة قد امتلأ بالمرارة وسوء النيَّة مما قللَّ من حيدته ، ويرجع الأمر إلى أن ديماجوجيَّة السياسة قد انتقلت إلى العلم خاصة في التاريخ والأمور السياسيَّة وهذا مرجعه إلى اللاتاريخيَّة وانعدام الموضوعيَّة ، ولقد اعتمد القائمون على الثورة على الكلام الإعلامي دون التنفيذ . " (٣)

لقد شكَّك الكتاب الناصريون في كل الإنجازات السياسيَّة والاقتصاديَّة والتعليميَّة للحقبة الليبراليَّة لصالح الحقبة الناصريَّة التي قضت على كل الإنجازات التي تمَّت

يقول د. زكي البحيري : " لقد يحلو للبعض أن يقول أن مصر بعد صدور تصريح فبراير ودستور ١٩٢٣ – ممارسة ديمقراطيَّة حقيقيَّة ، وذلك مخالف لواقع تاريخ مصر

---

(١) د. زكي البحيري " تاريخ مصر الحديث والمعاصر في المقررات المدرسيَّة المصرية " دار نهضة الشرق ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) الديماجوجي هو الشخص الذي يسعى لاجتذاب الناس إلى جانبه عن طريق الوعود الكاذبة والتملُّق وتشويه الحقائق ويؤكد كلامه مستنداً إلى شتى فنون الكلام وضروبه وكذلك الأحداث، ولكنه لا يلجأ إلى البرهان أو المنطق البرهاني لأن من حق البرهان أن يبعث على التفكير وأن يوقظ الحذر، والكلام الديماجوجي يعتمد على جهل سامعيه وسذاجتهم واللعب على عواطفهم .

(٣) د. زكي البحيري " تاريخ مصر الحديث والمعاصر في المقررات المدرسيَّة المصرية " دار نهضة الشرق ص ١٧١، ١٧٢ .

الفعلي ؛ لأنه لم يكن بالإمكان قيام حياة ديمقراطيَّة في حضور الاستعمار ، ثم أن الأحزاب السياسيَّة التي حصرت النشاط السياسي الظاهر في ملاعبها كانت تمثِّل قوى الإقطاعيَّة الرجعيَّة والرأسماليَّة الناشئة في أحضان ومشاركة الأجنبي ، وتلك القوى لم تكن على استعداد لأن تقطع علاقاتها بالاستعمار ولا تحالفها معه ومن ثمَّ زادت التناقضات الاجتماعيَّة والسياسيَّة بالطبع بصورة محسوسة بين تلك القوى الارستقراطيَّة والبرجوازيَّة المحدودة العدد في مواجهة أكثر من ٩٥ % من السكان المنضوي في دائرة صغار الفلاحين والعمال : زراعيين وصناعيين ، وصغار الموظفين ولم يكن غريباً في حضور هذه الأوضاع الاجتماعيَّة المتناقضة أن يعبِّر التعليم عن الطبقة المالكة والشريكة في السلطة ومثقفيها وعن الوجود الاستعماري المتغلغل في كثير من شئوننا ، وأن تتأثر الحياة الثقافيَّة والفكريَّة بهذا المناخ ، وأن ينعكس ذلك على خطط التعليم والتربيَّة وعلى مقررات المدارس وخاصة التاريخ المصري باعتباره أساس في أي مكوِّن ثقافي للنشء والمجتمع " [١]

من إنجازات نهضة الحقبة الليبراليَّة

والآن نستعرض بشيء من التفصيل أهم الإنجازات التي تمَّت خلال الحقبة الليبراليَّة التي تعد بحق العصر الذهبي للطبقة الوسطى ليس ردّاً على الناصريين بل إظهاراً للحقائق وبياناً لإنجازات آخر نهضة حقيقيَّة شهدتها مصر .

في مجال السياسة والحكم

خلال الحقبة الليبراليَّة تحققت إنجازات في مجالي السياسة والحكم منها : صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ معلناً استقلال مصر ، وعقب إعلان الاستقلال أصبح ملك مصر (فؤاد ومن بعده فاروق) يُعْرَف بملك مصر والسودان ، توقيع معاهدة ٣٦ ، جلاء الإنجليز عن القاهرة والإسكندريَّة ، توقيع بروتوكول جامعة الدول العربية ، انضمام مصر للأمم المتحدة ، معاهدة صدقي بيفن ، تمصير قيادة الجيش ، توقيع اتفاقية مونتريه لإلغاء الامتيازات الأجنبيَّة ، تجنيب مصر ويلات الحرب العالمية الثانية .

---

(١) د. زكي البحيري " تاريخ مصر الحديث والمعاصر في المقررات المدرسيَّة المصرية " دار نهضة الشرق ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

في مجال التعليم والبحث العلمي

في هذه الحقبة الليبراليَّة أُنْشِئت جامعات مصر الكبرى : القاهرة ، الإسكندرية ، عين شمس ، وكانت لها مكانة كبيرة بين جامعات العالم وخاصة جامعة القاهرة التي كانت من أفضل جامعات العالم حينئذ [١]، كما تعدُّ ساعتها ثاني أقدم وأشهر ساعة علي مستوى العالم بعد ساعة بيج بين .

وكما أُنْشِئت في تلك الحقبة أعرق المدارس الثانويَّة : السعديَّة ، الخديويَّة ، السنيَّة، الخديو إسماعيل ، الإبراهيميَّة ، النقراشي ، الفسطاط ، مصر القديمة ، المعادي ، .... هذا في محافظة القاهرة ، وأمثالها الكثير في المحافظات والمراكز والمدن الكبرى وكانت تشتمل كل مدرسة بالإضافة إلى طرازها المعماري الفخم على : مسرح كبير تمارس فيه كافة فنون المسرح والتمثيل والإلقاء والخطابة ، وكان صاحب الفضل في اكتشاف معظم المواهب الفنيَّة الشهيرة في عالم الفن الجميل .. ، وملعب واسع تمارس فيها كل الأنشطة الرياضيَّة وكان معمل تفريخ المواهب الرياضية ، وحديقة جميلة ومنسقة كانت يتعلم الطلاب فيها فنون الزراعات المختلفة وتنسيق الحدائق والزهور ، ومعامل حديثة فيها كافة الأجهزة لإجراء التجارب العلميَّة المعمليَّة ، كما كانت تشتمل هذه المدارس على مطبخ يقدِّم الوجبات الساخنة للطلاب . لقد كانت مدارس الحقبة الليبراليَّة مدارس علميَّة بحق يشهد لها كل عباقرة مصر الأفذاذ الذين تخرَّجوا فيها على يد معلِّمين أكفاء لا همَّ لهم إلا التربيَّة السليمة والتعليم الجيِّد المتطوِّر .

كلُّ هذا كان بالمجان فقد كان كل التعليم قبل الجامعي كله دون مصروفات ، والتعليم العالي بمصروفات زهيدة يُعْفَى منها المتفوِّقون وغير القادرين ؛ فقد تبرَّع الملك فاروق بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه لسداد مصروفات الطلبة الجامعيين غير القادرين ،

---

(١) صدر تقرير علمي، أعده معهد التعليم العالي بجامعة جياو تونج بشنغهاي بالصين، تضمن قائمة بأفضل خمسمائة جامعة على مستوى العالم خلال عام ٢٠٠٦ ، ولم يكن فيها أي جامعة عربيَّة في مقابل أنَّ إسرائيل احتلَّت المركز الثاني عشر بعدد ٧ جامعات من أصل ١٥ جامعة إسرائيليَّة ، وفي أحد الإحصائيات عن أفضل ٣٠٠٠ جامعة في العالم للعام ٢٠٠٦ كانت الجامعة العربية الأولى هي الجامعة الأمريكية ببيروت وترتيبها (١٢٩٥) وجامعة القاهرة كان ترتيبها (٣٩٠٢) !!

ولمَّا تولى طه حسين وزارة المعارف في حكومة الوفد الأخيرة أطلق صيحته المدوَّية " التعليم كالماء والهواء " وكان لهذه الصيحة أثر كبير على المستوى الأكاديمي العالي وإقبال الكثير عليه ، خاصة بعدما أَعْفَى جميع طلاب التعليم العالي غير القادرين من سداد المصروفات .

وكما أنشئ في الحقبة الليبراليَّة : مَجْمَع اللغة العربيَّة ، مصلحة الأرصاد الجويَّة، مدينة فاروق الأول للبعوث الإسلاميَّة ، المجلس الأعلى للبحوث العلميَّة والصناعيَّة (المركز القومي للبحوث فيما بعد) . الجمعيَّة المصريَّة للدراسات التاريخيَّة ، صدور قانون حفظ الآثار ، معهد الوثائق والمكتبات ، المتحف الزراعي، نجاح د. مهندس بحري فؤاد بهجت في تصميم وإنتاج أول غوَّاصة صغيرة في العالم ، إنتاج أوَّل طائرة تدريب مصريَّة بمحركات توربينية .

إنشاء عيد العلم وتكريم الخريجين ، توزيع جوائز فؤاد وفاروق العلميَّة على المتفوقين (جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية فيما بعد) .

في مجال الفنون والثقافة

أنشئت الإذاعة الحكوميَّة ، إجراء التجارب الأولى لدخول التليفزيون ، معهد الموسيقى العربيَّة ، المعهد العالي للفنون المسرحيَّة ، معهد فن التمثيل ، كما ازدهرت الصحافة وتأصَّلت حريتها وصارت بحق سلطة رابعة ، كما زاد عدد المسارح ، ودور السينما ، وصارت مصر هوليود الشرق .

في مجال الاقتصاد والعمران

أنشئت مصانع المحلة الكبرى ، مصنع الغزل والنسيج ، المصانع الحربيَّة ، مُجَمَّع التحرير (وتكلَّف حوالي مليون ومائتي ألف جنية) ، بدء برنامج الصواريخ المصري ، إنشاء قناطر الدلتا ، قناطر أسيوط ، قناطر إسنا ، قناطر إدفينا ، مشروع كهربة خزان أسوان ، حفر ترعة النوبارية .

في مجال الدستور والقانون والحريات

صدور دستور ٢٣ ، سبق الحديث عنه ، إنشاء مجلس الدولة ، صدور قانون السلطة القضائيَّة بشأن استقلال القضاء ، تطبيق القانون المصري على جميع المقيمين على أرض مصر ، صدور قانون محاكمة الوزراء ، قانون الكسب غير المشروع (من أين لك هذا ؟) ، مجمع محاكم الجلاء ، قانون كادر البوليس ، قانون تنظيم هيئات الشرطة ، مجلس أعلي للشرطة ، ديوان الموظفين (الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة فيما بعد) حريَّة الإضراب كانت مكفولة للجميع وتمَّ إحصاء ٥٥ إضراب لفئات مختلفة شملت حتى رجال البوليس والإدارة خلال الفترة ١٩٣٨-١٩٤٨ ، إنشاء نقابات : المحامين ، الصحفيين ، وممثلي المسرح والسينما (نقابة المهن التمثيلية) .

في مجال الخدمات الصحيَّة والاجتماعيَّة

الرعاية الصحيَّة كانت علي نفقة الدولة والعلاج كان مجاناً للجميع في المستشفيات الحكوميَّة ، إنشاء مجلس لمكافحة الفقر والجهل والمرض ، بدء مشروع الإصلاح الزراعي بتوزيع الأرض على الفلاحين في قرية كفر سعد بدمياط حيث أُعطيت كل أسرة (٦٠٠ أسرة) خمسة أفدنة من أراضي الدولة المستصلحة دون المساس بحقوق وملكيات ملاك الأراضي الآخرين ، إصدار قانون تخفيض ضريبة الأطيان الزراعيَّة علي صغار الملاك والمزارعين وإعفاء من لا تتجاوز ضريبتهم خمسين جنيهاً من الضرائب ، بنك التسليف الزراعي ، إنشاء سوق روض الفرج .

وفي الشأن الاقتصادي : بناء بنك مصر ، ومصر للطيران ...

من أعلام نهضة الحقبة الليبراليَّة

لذا لا عجب أن تشهد هذه الحقبة التاريخيَّة كوكبة من المَبْدعين في شتى المجالات لم تشهد مصر مثلهم فيما بعد ، ففي مجال الفكر الإسلامي : محمد عبده ، رشيد رضا ، حسن البنا ، محمد فريد وجدي ، محمود شلتوت ، عبد الحليم محمود ، محمد الغزالي ... ، في مجال السياسة والقانون : سعد زغلول ، ومصطفى النحاس، أحمد لطفي السيد ، عدلي يكن ، عبد الخالق ثروت ، مكرم عبيد ، محمد نجيب الهلالي ، علي ماهر ، د. عبد الرزاق السنهوري ود.حلمي بهجت بدوي ...، وفي مجال العلم :

مصطفى مشرَّفة ، سميرة موسى ، حسين فوزي ، علي إبراهيم... ، والفكر والثقافة والأدب : العقاد ، طه حسين ، إبراهيم مدكور ، نجيب محفوظ ، زكي مبارك ، أحمد أمين ، أحمد حسن الزيات ، عبد القادر المازني ، شوقي ضيف ، سهير القلماوي، مصطفى سويف ... ، في مجال التاريخ : عبد الرحمن الرافعي ، محمد شفيق غربال ، سليم حسن ، ... في مجال الشعر الفصيح: أحمد شوقي ، حافظ إبراهيم ، عبد الرحمن شكري ، إبراهيم ناجي ، على محمود طه ، أحمد زكي أبو شادي ، ... وشعر العامية : أحمد رامي ، حسين السيد ، عبد الفتاح مصطفى ، أحمد شفيق كامل ، ... وفي مجال الموسيقى والغناء : سيد درويش ، رياض السنباطي ، محمد عبد الوهاب ، محمد القصبجي ، محمد فوزي ، أم كلثوم ، أسمهان ، ليلى مراد ... في مجال أدب الأطفال : كامل الكيلاني ، عبد التواب يوسف ، يعقوب الشاروني ... ، وفي مجال التمثيل والإخراج : يوسف وهبي ، نجيب الريحاني ، بديع خيري ، أمينة رزق ، على الكسار ، جورج أبيض، زكي طليمات ، عزيز عيد ، زكي رستم ، ...

وهذه الكوكبة من المبدعين كانوا منارة العلم والثقافة ورواد التنوير ليس في مصر وحدها بل في العالم العربي كله ، هؤلاء كانوا قوة مصر الناعمة التي قادت العالم العربي علميّاً وثقافيّاً وسياسيّاً ودان لهم بالفضل والعرفان .

إن هذا التأثير المصري في الأمَّة العربيَّة في شتى ألوان العلوم والمعارف والفنون هو ما يسمى بالقوَّة الناعمة التي يقول عنها حسنين هيكل :

" الحق أننا عندما تحدثنا في مصر حتى قبل ثورة ٢٣ يوليو عن أفكار الاستقلال الوطني والمجالس النيابية، تكلمنا عن حريَّة.. تكلمنا عن دستور، فإن كل هذه الأفكار قد وجدت صداها في العالم العربي، ليس لأننا كنا راغبين في تصديرها.. ولكن لأن القاهرة تحوَّلت بفعل ظرف تاريخي تسانده حقائق جغرافية إلى قوَّة، لكن أية قوَّة ؟

أظن أن أفضل من وصف هذا النوع من القوَّة هو جوزيف ماي، وهو أستاذ أمريكي بجامعة هاربر، في كتابه المهم جداً عن القوى الناعمة. كنا نتحدث عن مناطق تمارس نفوذاً أكثر من قوتها العسكريَّة والاقتصاديَّة، لكن بشكل أو آخر لها نفوذ

يتعدى الحسابات الماديَّة، والقاهرة كانت واحدة منها. كان ماكميلان يحدثنى عن تأثير القاهرة وغيره آخرون.. فالقاهرة لها وضع خاص لم يتميز به غيرها بهذا الشكل، حتى قاهرة الملك فاروق وقاهرة الملك فؤاد. الموسيقى والسينما والصحافة في مصر قامت بدور أكثر ألف مرة مما يمكن أن تفعله الدبابات والأساطيل والمدافع في خدمة إمبراطوريَّة. ولكن على شرط أن ندرك أن هذه القوَّة ليست مسيطرة... هذا نفوذ مقبول ولكن غير مفروض، وبالتالي فإننا نرتكب خطأً عندما نتصور أن ذلك مفروض.. أو أنه لنا بالحق الطبيعي خطأ شنيع جداً. نعود لكلام البروفيسور مای عن القوى الناعمة، فهو يقول إن التاريخ قد عرف نوعين من القوَّة : القوَّة الصلبة وهى القوة التي تفرضها الإمبراطوريات بقوة السلاح، وربما الاقتصاد. أما القوَّة الناعمة: فهي القوَّة التي تستطيع أن تحدث تأثيرها دون وسائل العنف، فتتحقق بالنفوذ أكثر مما تتحقق بالغزو. " [١]

ورغم هذه الإنجازات إلا أن الكتَّاب الناصريين ومقررات المناهج المدرسيَّة في الحقبة الناصريَّة لم تتعرض لها ولم تتحدث إلا عن الاحتلال الإنجليزي الذي سخَّر موارد مصر لمصلحته ، والحكم الملكي المستبد الفاسد ، والأحزاب السياسيَّة الرجعيَّة المتنافسة على الحكم .

***

[1] محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " الجزيرة نت .